البحار الزاخرة في أسباب المغفرة

تأليف

دكتور السيد بن حسين العفاني

تقديم

فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة

هاتف: ٥٨٦٤٢٤٠

توزيع

مكتبة العلم بجدة

حي الثغر هاتف ٦٨٧٧٠١٤

حقـوق الطبــع محفوظـة
الطبعــة الأولـى
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

□ تقديم / بقلم فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين □

○ الرئيس العامّ لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ○

الحمد لله غفَّار الذنوب لمن استغفر ، تواب رحيم بكلِّ مَنْ تاب واسترحم ، مفرج الكروبْ ، وكاشف الهموم ، ومزيل الغموم عن عباده السائلين الدَّاعين الضَّارِعين له سبحانه ، لا يُشرك في حُكمه أحدًا ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير .

أحمده سبحانه حَمْد المعترِف بذنوبه المُتكاثِرة ، وأخطائه المُتناثِرة ، وأتوبُ إليه وأستغفره توبةَ العبد العارف بقوله تعالى : ﴿ **قل يا عبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحْمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربِّكم وأسلِمُوا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُنصرون** ﴾ .

وأُصلِّي وأسلِّم على مَنْ بعثه الله رحمةً للعالمين ، من تَبِعَه غُفرت له ذنوبه ، فقال ربه له : ﴿ **قل إن كنتم تُحِبُّون الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ . وأُصلِّي وأسلِّم على آله الأبرار وأصحابه الأطهار ، ومن تَبِعهم بإحسانٍ وتوبة واستغفار ، ما جنَّ الليلُ وطلَعَ النَّهار ، وعلى إخوانه الأنبياء الذين دعوا إلى ربِّهم آناءَ الليل وأطراف النهار ، وحثُّوا قومهم على التوبة إلى الله والاستغفار ، وذكَّروهم أن الذنوب سببُ كلِّ بلاء ، وأصْل كلِّ داء ، وأن التوبة والندم إلى الله ، وصدْق الرجاء ، هوَ سبب كشف الغمّ ، وصَرْف الهمّ ورفْع البلاء .

وبعدُ :

فهذه رسالةٌ نفيسةٌ في بابها ، عظيمةٌ في محتواها ، جليلةٌ في هدفها ،

لا يستغني عنها عالم ولا عامل ، قد جمعَ فيها أخونا الكريمُ المفضال ، صاحبُ القلم السَّيَّال؛مع حُسن المقالِ ، أكْثَرَ من مائتين وسبعين سببًا لمغفرة الذنوب ، بين متقدِّمة ومتأخِّرة ، أو هما معًا . والعبد ينوء بذنبه الذي فَعَل ، والله غفَّار للذنوب ، ولكن كيف السبيل ؟ فالله سبحانه ألهم آدمَ لمَّا أذنبَ ذنْبَه ، فأكلَ من الشجرة ، فألقى إليه كلماتٍ علَّمه إيَّاها: ﴿ **فتلقَّى آدمُ من ربِّه كلماتٍ فتاب عليه** ﴾ . أمَّا إبليس فأبى واستكبرَ ، فما رجعَ ولا استغفرَ ، وسار في غَيِّه .

فالسعيدُ مَنْ وُعِظ بحال أبيه آدم ، فتاب كتَوْبَتِهِ واستغفر ، والشَّقِيّ مَنْ دعاه إبليس ، فصار مِثْلَه وأصرَّ واستكبرَ .

ففي شرْع الإسلام الحنيف وما جاء به الرسول الأمين ﷺ ، أسبابٌ لمغفرة الذنوب ، جَمَع منها هذا الكتابُ الطَّيِّب المئاتِ ، فاجعلْ لنَفْسِك منها حظًّا ، ولا تخْرُج من سُوق الدنيا – الزَّاخِرة بأسباب التوبة والمغفرة – بالذنوب المتكاثرة ، مع وفْرة أسباب التوبة والمغفرة .

واعلم أن الله سبحانه ذَكَر على لسان نبيِّه نوح عليه السلام : ﴿ **فقلت استغفروا ربَّكم إنه كان غفَّارًا يُرسل السماء عليكم مدرارًا ويُمددكم بأموالٍ وبنينَ ويجعلْ لكم جنَّاتٍ ويجعل لكم أنهارًا** ﴾ .

وقال على لسان هود عليه السلام : ﴿ **ويا قوم استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه يُرسل السماءَ عليكم مدرارًا ويَزِدْكم قوةً إلى قوَّتكم ولا تتولَّوْا مجرمين** ﴾ .

وعلى لسان صالح : ﴿ **فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريبٌ مُجيبٌ** ﴾.

وعلى لسان شعيب : ﴿ **واستغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيمٌ ودودٌ** ﴾ .

ولقد أخرج ابن جرير في تفسيره ، أن عمر بن الخطاب خرج يستسقي ، فما زادَ على الاستغفار ، ثم رجَعَ ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما رأيناك استسقيتَ ؟ فقال : لقد طلبتُ المطر بمجاديع السماء التي يُستنزل بها المطر . ثم قرأ : ﴿ **استغفروا ربَّكم إنه كان غفَّارًا يُرسل السماء عليكم مدرارًا** ﴾ . وقرأ الآية التي في سورة هود ، حتى بلغ : ﴿ **ويَزِدْكم قوَّةً إلى قوّتكم** ﴾ .

ولقد جمع هذا السِّفْر الكريم بين المغفرة التي سبقتْ لأقوامٍ كرامٍ ؛ كأهل بدر ، وأهل بيعة الرضوان ، وأسبابها القدريَّة كطُول العُمر ، والإصابة بالمرض ، والموت في أعمالٍ أو زمانٍ جاء الخبر الصَّادِق بها .

وذَكَر أسبابَ العمل : من وضوءٍ وصلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ وذكرٍ وتسبيحٍ ، وأسبابَ الخُلُق : من صدْقٍ وحياءٍ واستقامةٍ وتوكُّلٍ وخشيةٍ ويقينٍ ، وغير ذلك من الخير الكثير والعمل الوفير ، فهو كتابُ إرشادٍ . فاسْتَمْسِك واعمل ، ولا تخرج من الدنيا بغير عملٍ ؛ فإن العَرْض والحساب ، والوَزْن والفَصْل في القضاء ، كلّ ذلك يوم القيامة ﴿ **يومَ لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم** ﴾ .

فإلى القارئ الكريم أُهدي ذلك الكتاب الجامع النافع ، حتى إنه جمعَ مع الإرشاد إلى أبواب المغفرة ، التحذيرَ ممَّا دار على الألسنة من أحاديث موضوعة في ذلك الباب ؛ ليعمل العاملُ على بصيرةٍ من دينه . وعرض وحقّق وَدَقَّق ، كما فَعَل في حديث صلاة التسابيح ، فذَكَر القائلين بالوضْع والضعْف والحُسن والصِّحَّة ؛ ليسلم مِنْ عُهدة التَّقوُّل على رسول الله ﷺ .

والأبواب بعد ذلك – في الكتاب وفصوله – لا يُغني عنها تقديمٌ ولا فهرسةٌ ، فالكتاب يحتاج إلى المُدَارسة ، مع الأهل والأبناء في البيوت ، وفي المساجد ، بل وفي المصالح والأعمال ؛ حتى يَنْضبِط السلوك إلى الله ، ويرتقي العبد بالعمل ، وتَبْيَضَّ الصحائف ، وتثقُل الموازين .

وإلى الأخ الدكتور سيد حسين : وفَّقك الله ، وأعانك على المزيد من ذلك العطاء المبارك ، ووفقك وأبقى لك ذُخْرًا في الدنيا والآخرة ، وفي الأهل والمال والولد ، والعافية في البدن ، ونَفَعَك بالصالح من الأعمال .

ولا أنسى أن أُوصي الناشر والطابع والمُصحِّح والمراجِع ، وهم جنود مجهولون ، بجهدهم تصل الكلمة الطَّيِّبة الهادية النافعة ، فإن أخلصوا ، فالله يعلمهم وإنْ جهلهم الخلْق جميعًا ، ولا يضيع عند الله عملُ العاملين ، فاتَّقوا الله في هذا الكتاب إخراجًا وصفًّا وتصحيحًا ، والله يوفِّق الجميع إلى خيري الدنيا والآخرة ، والله الهادي إلى الصواب ، وإليه المرجع والمآب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتبـــــه

كثير الذنوب ، الطامع في مغفرة التواب الرحيم

محمد صفوت نور الدين

* * *

□ إهـــــداء □

• • **إلى تيار الفرات الكريم ذي المروءة المفضال .. الرجل في وقتٍ عزَّ فيه الرِّجال .. الشيخ الحبيب الذي طوَّق عنقي بجميل كرمه .. دكتور محمد أبو حجر .. شقيق الروح .**

يا أيُّها الشيخ الذي عمَّتْ أياديه النَّبيلهْ
اقْبَلْ هديةَ منْ يَرَى في حقِّك الدُّنيا قليلهْ

• • إلى الكريم الماجد الهاطِل ... الذي عمَّ جُودُه وإحسانُه كلَّ إخوانه ... **الشيخ شلتوت علي شلتوت .. إلى الذي وقف بجانبي وغمرني** بنواله ، شكرِ الله لك سوقَك إليَّ سببًا عظيمًا من أسباب المغفرة .

* * *

□ مقدمـــــة □

إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله تعالى فلا مضلَّ له ، ومَنْ يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعـد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فلله درّ ابن مسعود رضي الله عنه ، الذي قال له رسول الله ﷺ : « يرحمكِ الله ، إنك غُلَيِّمٌ معلَّم »[١] .

الإمام الحبر صاحب سِوَادِ رسول الله ﷺ - سِرّه - ووساده ، وسواكه ، ونعليه ، وطهوره[٢] .

الذي قال فيه حذيفة رضي الله عنه : لقد علم المجتهدون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة .

شدَّ ما جذبتني كلماتٌ له دفعتني إلى كتابة هذه الأسطر .

دفعتني إلى كلماته وصيةُ رسول الله ﷺ به : « وتمسَّكُوا بعهد ابن

---

(١) قال الذهبي : صحيح الإسناد : رواه أحمد ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ » ، والذهبي في « سير أعلام النبلاء » ١/٤٦٥ ، واللفظ له .

(٢) وهذا يكون في السَّحَر .

أم عبد »[١].

قال رضي الله عنه : (لو تعلمون ذنوبي ، ما وطئ عقبي اثنان ، ولحثيتم التراب على رأسي ، ولَوَدِدْتُ أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي ، وأني دُعيتُ عبد الله بن روثة)[٢] .

وعنه أيضًا : (ودِدتُ أن الله غفر لي ذنبًا واحدًا ، ولا يُعرف لي نَسَبٌ) .

وكان يقول في دعائه: (خائف مستجير ، تائب ، مستغفِر ، راغب ، راهب) .

فمغفرة ذنب واحد تعدل عند هذا الإمام كل هذا ... وصدق رضي الله عنه ، فقد قال تعالى : ﴿ **لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون** ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

فهل بعد غفلتنا هذه غفلة ؟! ذنب واحد يُغفر ، خيرٌ من الدنيا وما فيها ، فكيف إذا توافرت الأسباب وتعدَّدتْ ، فضلًا من الله ومنةً وكرمًا ، ثم لا نسارع إليها، والله تعالى يقول: ﴿**فلا تعجل عليهم إنما نعُدُّ لهم عدًّا**﴾ [مريم: ٨٤]. آخر العدد : خروج الروح، وفراق الأهل، وركوب النعش،ودخول القبر ، وعذاب القبر ، وعرصات القيامة ..

أخي : (ليس العَجَب من نائمٍ لم يعرف قدْر ما مرَّ به من يومه ، إنما العجب من نائمٍ في يقظة عمره) كما قال ابن الجوزي رحمه الله .

من أجل هذا أتتبَّع أسباب المغفرة- قدر جهدي الضئيل- من الكتاب والسنة في هذا المختصر ، ولست لذلك بأهل ، عسى الله أن يغفر الذنوب ،

---

(١) صحيح . « اقتدوا باللذَيْن من بعدي : أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدْي عمار و .. » . أخرجه أحمد والترمذي والحاكم وأبو نعيم عن حذيفة .

(٢) أخرجه الحاكم ٣١٦/٣، والفسوي ٥٤٨/٢ في « المعرفة والتاريخ » .

ويرزقنا محبَّتَهُ .

الخوف أوْلَى بالمُسيء إذا تألَّه والحَزَنْ
والحب يجمُل بالتَّقيّ وبالنَّقاء من الدَّرَنْ
لكنْ إذا ما لم يحبّكم المسيء فمن إذَنْ
أيحبّ شيء غيركم وحياتكم كلَّا وَلَنْ

ولقد جمعت في هذا المختصر أسباب مغفرة الذنوب المتقدمة والمتأخرة ، وسبق إليها إمام الدنيا في علم الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ثم أسباب مغفرة الذنوب المتقدمة فقط ، ثم أسباب مغفرة الذنوب كلها إلا الديْن ، وأسباب مغفرة الصغائر ، وأسباب المغفرة الواردة في القرآن الكريم .

وقد يكون النص واضحًا جليًّا.. وقد تفهم المغفرة بفهم العلماء، مثل: «حرّمت عليه النار» ومثل: «وجبت له الجنة»، ومثل: «صلَّت عليه الملائكة».

فلك أخي القارئ لهذا الكتاب صفوه وللمؤلف كدره ، وهو الذي تجشَّم غراسه وتعبه ، ولك ثمره . فإن رأيت صوابا فاستغفر الله لي ، وإن رأيت زللًا فهذا عنواني ، أقدِّمه لك حتى أرجع إذا وصلني منك هدية من نُصح . اللهم تقبله عندك ، واغفر لي ذنبيْ ، دقَّه وجلَّه ، سره وعلانيته ، وعرِّفني وجه نبيك ﷺ في رضوانك والجنة ﴿ **ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ﴾ [إبراهيم : ٤١] .

وكتبه حامدًا مصليًا فقيرُ عفو ربِّه

السيد بن حسين العفاني

محافظة بني سويف – مركز بني سويف

قرية بني عفان – في شوال سنة ١٤١٥ هـ

ت /٤٩٢٥١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم**﴾ [الزمر: ٥٤].

إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية – خلا الشرك – كائنة ما كانت ، وإنها الدعوة للأوْبة . دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال. دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله. إن الله رحيم بعباده.

ليس بين العبد وقد أسرف في المعصية ، ولَجَّ في الذنب ، وأبق عن الحمى ، وشرد عن الطريق ، ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخيَّة ، وظلالها السمحة المحيية ، ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة ، التوبة وحدها ، الأوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بوّاب يمنع ، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان .

﴿ **وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ [الزمر : ٥٥] .

الإنابة والإسلام ، والعودة إلى أفياء الطاعة وظلال الاستسلام .. هذا هو كل شيء.. بلا طقوس ولا مراسم ولا حواجز، ولا وسطاء ولا شفعاء. من أراد الأوْبة من الشاردين فلْيَؤُب ، ومن أراد الإنابة من الضالين فليُنب ، ومن أراد الاستسلام من العصاة فليستسلم وليأت .. ليأت وليدخل ، فالباب مفتوح ، والفَيْء والظّل والنَّدى والرخاء : كله وراء الباب ، لا حاجب دونه ولا حسيب ! **هيا هيا يا ابن النّطف : ابسط بساط الحزن على رماد الأسف** ، هيا والزم سدَّة باب مولاك ، واقرع بابه بقلبك لا بظفرك ؛ فإن أبواب الملوك لا تُقرع بالأظافير . ناد بوجيب قلبك وواكِف دمْعِك : قد قدم الغائب .

قم في الدجى بلسان الذّل وقل : ﴿ **يأيُّها العزيز مسَّنا وأهلَنا الضُّرّ** ﴾.

هيا .. هيا قبل فوات الأوان ﴿ **من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون** ﴾ فما هنالك من نصير . هيا فإن النَّفَس قد يخرج ولا يعود ، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي مولاها . هيا قبل التحسُّر على فوات الفرصة ، وعلى التفريط في حق الله، وعلى السخرية بوعيد الله : ﴿ **أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرَّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين** ﴾ [الزمر : ٥٦] .

الفرصة ها هي ذي سانحة ، ووسائل الهدى ما تزال حاضرة ، وباب التوبة ها هو ذا مفتوح .

أبواب العباد مغلقة .. وبابه مفتوح لمن دعاه .

فإذا كانت القيامة ﴿ **أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرَّةً فأكون من المحسنين** ﴾ [الزمر : ٥٨] .

وهي أمنية في القيامة لا تُنال .. لا كَرَّةَ ولا رجوع .. وإنما دماء العين بعد الدموع .

« إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم جرت وإنهم ليبكون الدم »[1] .

فما لك منها غير ذكرى وحسرة وتسأل عن ركبانها أين يمَّموا

هي فرصة واحدة، إذا انقضت لا تعود.. وستُسألون عنها مع التبكيت والترذيل : ﴿ **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين** ﴾ [هود : ١٨] ، ﴿ **بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين** ﴾ [الزمر : ٥٩] .

---

(١) حسن . رواه الحاكم عن أبي موسى وصححه ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٠٣٢ .

أخي : إن الذنوب **لا ترعى حُرمة لذي فضل** .

عن ابن عباس مرفوعًا: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسوَّدَتْه خطايا بني آدم »[١] .

يا هذا ، سوَّدتِ الخطايا الحجر وهو من الجنة ، وأنت من التراب ومن الأرض ، فانظر لنفسك ، سوَّدته وهو صلْد ، أفلا تنكس القلب إذا عصى وأصرَّ وهو من لحمٍ ودم !!.

أما سمعت في بداية الزلل ﴿ **إذا مسّهم طائف** ﴾ [الأعراف : ٢٠١]، وفي وسطه ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم** ﴾ [المطففين : ١٤] ، وفي آخره ﴿ **أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] .

أتبكي على معاصيك ، والإصرار يضحك ؟ أتخادع بالتوبة ؟ وإنما تمكر بدينك .

رأيت الناس خدَّاعا إلى جانب خدّاع
يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعي

قال محمد بن يحيى الذهلي – وهو من هو علمًا واتِّباعًا وصيانة وديانة ورأسًا في الجرح والتعديل –: (تقدم رجل إلى عالم ، فقال : علِّمْني وأوجز ، قال : لأُوجزَنَّ لك ، إن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه : قلْ لقومك : لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلتْ إليه الخراب)[٢] .

انظر يا أخي إلى آية شريفة وأشرف حديث لأهل الشام .

---

(١) صحيح : قال ابن حجر في الفتح ٣/٥٤٠: « أخرجه الترمذي، وصححه، وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق، لكن اختلط، وجرير ممن سمع منه بعد اختلاطه ، لكن له طرق أخرى في صحيح ابن خزيمة فيقوى بها ». وصححه السيوطي ، والألباني في صحيح الجامع رقم ٦٦٣٢ ، وتخريج المشكاة رقم ٢٥٧٧ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/٢٨١ – ٢٨٢ .

آيات الزمر التي مرَّت تغسل مرارات المعاصي ، وتشهد لإطلاق المغفرة بأمور :

الأول : نداؤهم بعنوان العبودية ، فإنها تقتضي المذلة ، واقتضاؤها للترحُّم ظاهر .

الثاني : الاختصاص الذي تُشعِر به الإضافة إلى جنابه تقريبًا من بابه ، فإن السيد من شأنه أن يرحم عبده ويشفق عليه .

الثالث : تخصيص ضرر الإسراف المشعرة به (**على أنفسهم**) .. فضرر الذنوب عائد عليهم لا عليه سبحانه ، فيكفي ذلك من غير ضرر آخر ، كما في المثل: أحسن إلى من أساء ، كفى المسيء إساءته . فاستحقاقُ العقاب عقابٌ عند ذوي الألباب ، فلو ضمن الله لهم التوبة ، كفاهم همَّ الحياء منه .

الرابع : النهي عن القنوط مطلقًا عن الرحمة ، فضلًا عن المغفرة وإطلاقها .

الخامس : إضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات، فإن ذلك ظاهر في سعتها، وهو ظاهر في شمولها للتائب وغيره .

السادس : التعليل بقوله تعالى: ﴿ **إن الله** ﴾، فإن التعليل يحسُن مع الاستبعاد ، وترْك القنوط من الرحمة مع عدم التوبة ، أكثر استبعادًا من تركه مع التوبة .

السابع : موضع الاسم الجليل فيه موضع الضمير ، لإشعاره بأن المغفرة من مقتضيات ذاته لا لشيءٍ آخر من توبةٍ أو غيرها.

الثامن : تعريف الذنوب ، فإنه في مقام التمدح ظاهر في الاستغراق ، فتشمل الذنب الذي تعقبه التوبة والذي لا تعقبه .

التاسع : التأكيد بالجميع .

العاشر : التعليل .

الحادي عشر : التعبير بالغفور ؛ فإنه صيغة مبالغة ، وهي إن كانت باعتبار الكمّ شملت المغفرة جميع الذنوب ، أو باعتبار الكيف شملت الكبائر بدون توبةٍ .

الثاني عشر : حذف معمول (**الغفور**) فإن حذف المعمول يفيد العموم .

الثالث عشر : إفادة الجملة الحصر ، فإن من المعلوم أن الغفران قد يوصف به غيره تعالى، فالمحصور فيه سبحانه، إنما هو الكامل العظيم، وهو ما يكون بلا توبة .

الرابع عشر : المبالغة في ذلك الحصر .

الخامس عشر : الوعد بالرحمة بعد المغفرة ، فإنه مشعر بأن العبد غير مستحق للمغفرة لولا رحمته ، وهو ظاهر فيما إذا لم يتب .

السادس عشر : التعبير بصيغة المبالغة فيها .

السابع عشر : إطلاقها، ومَنَعَ المعتزلة مغفرة الكبائر والعفو عنها من غير توبة.

وقال بعض أجلَّة المُدقِّقين: إن قوله تعالى: ﴿**ياعبادي الذين أسرفوا**﴾، خطاب للكافرين والعاصين ، وإن كان المقصود الأَوْلى الكفار ، لمكان القُرب وسبب النزول ، فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس ، أنه قال : إن أهل مكة قالوا : يزعم محمدٌ ﷺ أنه من عَبَد الأوثان ودعا مع الله إلهًا آخر ، وقتل النفس التي حرَّم الله ، لم يُغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة وقتلنا النفس ، ونحن أهل شرك ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم** ﴾ .

وأخرج ابن جرير ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ، ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم تركوا دينهم بعذابٍ عُذِّبوه ، فنزلت هؤلاء الآيات ، وكان عمر رضي الله عنه كاتبًا ، فكتبها بيده ، ثم كتب بها إلى عياش وإلى الوليد

وإلى أولئك النفر ، **فأسلموا وهاجروا** .

وأخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار ، قال : نزلت هذه الآيات الثلاث : ﴿ **قل يا عبادي** ﴾ إلى : ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾ بالمدينة في وحشي وأصحابه[١].

انظر إلى سعة المغفرة « يقتلون أولياءه ثم يأمرهم بالتوبة .. انظر إلى كرم الله..» **هذا شأنه فيمن يقتل أولياءه ويتوب ، فكيف شأنه فيمن يُقتل فيه.**

فتح الله باب المغفرة بالإسلام أمام اليهود الذين قالوا : ﴿ يد الله مغلولة غلت أيديهم ﴾ [المائدة: ٦٤]، والذين قتلوا أنبياءه ، وأمام النصارى الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، فقال : ﴿ **أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم** ﴾ [المائدة : ٧٤]. وقال تعالى : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق**﴾ [البروج: ١٠].

فيا من أبعدتم نفوسكم عن الحضرات الربانية ، وأركستموها في الدنايا الشيطانية.. انتعشوا بفتح باب الأمل بهذه الآية بغفران الذنوب، فرب معصية أورثت صاحبها عزًّا طويلًا .. إذا ذلَّ وعرف باب مولاه « وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين » .

أخي أين مغفرة من مغفرة .

لو أراد ملك من ملوك الدنيا العفو عن أهل الجرائم ، قام عليه جنده ، فانحلَّ عقده ، وانثلم حدّه ، فعلَّل هذه العلَّة بما يخصه فقال مؤكدا لاستبعاد **ذلك بالقياس على ما يعهدون : ﴿ إنه هو الغفور ﴾ يمحو الذنوب عينا** وأثرًا ، فلا يعاقب ولا يعاتب .

هو ﴿ قابل التوب .. ﴾ أتى بالمصدر ليفهم أن أدنى ما يُطلق عليه الاسم كافٍ .. فما بالك بالتوبة النصوح .

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٤/٢٤ - ١٥ .

فيا أرباب الدنس، ويا أوساخ الذنوب ﴿**هذا مغتسل بارد وشراب**﴾ [ص : ٤٢]. لا تقنعوا بصبّ ماء التوبة على الظاهر ، بلّوا الشعر ، وأنقوا البشرة ، ما لم تسبح بدمع عينيك ، لم تأت بسنة الغسل .

فلو داواك كل طبيب داء بغير كلام ربي ما شفاكا

وكلامُ الملوك ملوك الكلام . قال تعالى: ﴿ **وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون** ﴾ [الأنعام : ١٢٠] .

فَكِّرْ في الذنبِ وما احتَقَبَتْ كَفَّاكَ عليكَ وما اكْتَسَبَا
كم بِتَّ على ذنبٍ فرحًا وغدوتَ على ذنبٍ طَرَبا
وعَلِمتَ بأنَّ اللهَ يَرى فأَسأْتَ ولمْ تُحْسِنْ أَدَبَا
فَأَعِدَّ الزَّاد فما سفـرٌ كالموتِ تَرى فيه النَّصَبَا
وأَفِقْ فالعُمْرُ به رَمَـقٌ فَكَأَنْ قد فاتَ وقَدْ ذَهَبَا

يا كثير الدرن والدنس ، يا من كلما قيل أقبِل انتكسْ ، يا مْن أُمر بترك ما يفنى لما يبقى ، فعَكَس ، جاء الأجل ، وحديث الأمل هَوَس .

يا أهل الذنوب والخطايا ، ألكم صبر على العقوبة ؟ ﴿ كلا إنها لظى ﴾ [المعارج : ١٥]، إذا شاهَدت من اشترى لذة ساعةٍ بعذاب سنين ﴿ **تكاد تميّز من الغيظ** ﴾ [الملك : ٨]، فكيف أمن العصاة ؟ ﴿ **وإنْ منكم إلا واردها** ﴾ [مريم : ٧١] .

أخي : (لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه) . أما يكفيك هذا القول من طبيب القلوب « الحسن البصري » .

قال شميط بن عجلان : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرَّب ، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم راجع بتوبة، فهذا صاحب يمين. ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا ، فهذا صاحب شمال.

إخواني : المعاصي تنكِّس الراس ، وما مخلِّط كمنْ كاس[١] ، ولا بانٍ على رمْلٍ كمحكم الأساس ، إن بينهما كما بين الطهارة والأنجاس ، وعلى وجه الطائع نور طاعته ، وعلى وجه العاصي ظلام مخالفته ، وعند الموت يُتَلَقَّى هذا بالبشارة ، ويقع هذا في الخسارة ، وفي القبر يفترش هذا مهاد الفلاح ، ويُلقى ذاك على حسك[٢] القباح ، وعند الحشر هذا يَرْكب وذاك يُسحَب، ثم يقال للعصاة: هَلَّا ذكَرْتُمْ، وللطائعين: سلام عليكم بما صبرتم.

كمْ بين خَجِلٍ يَذِلّ ، وبين طائعٍ **يُدِلُّ** .

إياكم إياكم والذنوب ، احذروا عواقب العيوب .

أخي : هذا أشرف حديث لأهل الشام – كما قال الإمام أحمد بن حنبل – وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث به جثا على ركبتيه :

عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : ياعبادي،إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرمًا بينكم ، فلا تظالموا . ياعبادي ، كلكم ضال إلا منْ هديته ، فاستهدوني أهدكم . ياعبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم.ياعبادي،كلكم عار إلَّا من كسوته ، فاستكسوني أكسُكم . ياعبادي ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا ، فاستغفروني أغفر لكم . ياعبادي ، إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. ياعبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا . ياعبادي،لو أنَّ أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنَّكم ، كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا . ياعبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم ، وإنسكم وجنَّكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ،

---

(١) كاس : عقل .

(٢) الحسك : الشوك .